دراسات

دبلوماسية الطاقة الروسية تجاه أوروبا

فايزة يموتان*

باحثة دكتوراه، المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية، الجزائر

أدى وصول الرئيس فلاديمير بوتين إلى السلطة سنة ٢٠٠٠ إلى التغير فى توجهات السياسة الخارجية الروسية، إذ وضع بوتين حدا لوضع التبعية للغرب، الذى ساد فى عهد سابقه، وأخذ فى تأكيد الخصوصية الروسية، ومكانتها الدولية كقوة كبرى، مستندا إلى عدة مقومات اقتصادية، وجغرافية، وعسكرية، وتاريخية تزخر بها روسيا، بالإضافة إلى دعوته إلى ضرورة إحلال نظام دولى متعدد الأقطاب. وقد عول الرئيس بوتين فى تحقيق أهدافه على متغير الطاقة، والعلاقات مع دول أوروبا. كل هذا يثير موضوع مكانة العلاقات الروسية – الأوروبية، فى ظل هذه السياسة الجديدة التى تبناها بوتين، والتى تتميز بكونها أكثر استقلالية، ورغبة فى إعادة روسيا إلى مصاف الدول الكبرى.

وتهدف هذه الدراسة إلى معالجة دبلوماسية الطاقة الروسية، بعدّها أداة تستخدمها روسيا للعودة إلى الساحة الدولية. حيث تنطلق من الربط بين ثلاثة متغيرات، يتمثل الأول فى هدف الرئيس فلاديمير بوتين الذى يرغب فى استعادة أمجاد روسيا. أما المتغير الثانى، فيتمثل فى الورقة الرابحة التى تمتلكها روسيا بحسبانها تتربع على أكبر احتياطى للغاز الطبيعى فى العالم. ويتمثل المتغير الأخير فى تبعية أوروبا لوارداتها من الغاز الروسى.

والسؤال الرئيسى الذى تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عليه هو: كيف توظف روسيا متغير الطاقة فى علاقاتها مع أوروبا لخدمة هدف العودة إلى مصاف الدول الكبرى؟

أولا- الأهمية الجيوبوليتيكية والاقتصادية لأوروبا بالنسبة إلى روسيا:

١- الأهمية الجيوبوليتيكية: توفر العلاقات مع أوروبا عدة مميزات جيوبوليتيكية لروسيا، هى:

أ- الوصول إلى المسطحات المائية: فالمعضلة التى كثيرا ما شغلت روسيا هى الوصول إلى البحار المفتوحة، التى حرمها منها موقعها الجغرافى الذى يفتقر للواجهة البحرية(١).

ب- الحفاظ على الوحدة الإقليمية الروسية: فبعد تفكك الاتحاد السوفيتى، أصبح الانتقال بين روسيا و"كالينينجراد" يستوجب المرور بحدود دول البلطيق الثلاث(٢)، علما بأن هذه المقاطعة توفر ٩٠٪ من الإنتاج العالمى من العنبر، وتوفر لروسيا واجهة أخرى على بحر البلطيق (وهى الواجهة الوحيدة التى لا تظل جامدة طيلة السنة)، كما أنها تحتوى على أهم قاعدة عسكرية روسية فى هذا الأخير(٣).

١- لمى مضر، المتغيرات الداخلية والخارجية فى روسيا الاتحادية وتأثيرها على سياستها الخارجية تجاه منطقة الخليج العربى ١٩٩٠-٢٠٠٣، (أبو ظبى: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠٠٥)، ص ص ١٥-١٦.

2- Frank. T et Eacute; Tart, Kaliningrad:une ile russe au sein de l'union europeenne elargie, revue de geographie et de geopolitique, no118., (troisieme trimestre 2005), p.3.

3- Jean Franois, geopolitique de la Baltique, CLES note hebdomadaire, no. 110, (27 juin 2013) p.2.

٢- الأهمية الاقتصادية: تمنح قارة أوروبا عدة مميزات اقتصادية لروسيا، هى:

أ- سوق للطاقة الروسية: تعد أوروبا السوق الأولية لصادرات الطاقة الروسية، إذ تستوعب أكثر من نصف الإنتاج الروسى من الطاقة بصفة عامة(٤)، ونحو ٩٠٪ من إنتاجها من الغاز(٥).

ب- التبادل التجارى: أوروبا هى الشريك التجارى الأول لروسيا(٦)، كما توفر دول الاتحاد الأوروبى ما تحتاج إليه روسيا من تقنيات حديثة لتطوير اقتصادها(٧).

ج- النفاذية إلى الأسواق الخارجية(٨): فرغم بقاء ثلاثة موانئ بيد روسيا، بعد نهاية الحرب الباردة فإنها لا تتسم بالأهمية نفسها التى تتسم بها الموانئ الموجودة فى الدول الأخرى، إذ لا تتعدى السعة التصديرية لميناءى "كالينينجراد"، و"سانت بيترسبورج" الروسيين (خمسة ملايين طن) سنويا، خاصة أن هذا الأخير خاضع للطقس البارد، يظل جامدا طوال تقريبا(٩).

د- الاستفادة من شبكات نقل الطاقة فى أوروبا الشرقية(١٠).

ثانيا- دور روسيا فى أمن الطاقة الأوروبى:

عول صناع القرار الروس منذ سنة ٢٠٠٠ على تطوير الاقتصاد، معتمدين فى ذلك على موارد الطاقة(١١)، التى تعد روسيا خزانا لها، فهى ثانى منتج للنفط فى العالم، حيث تصدر خمسة ملايين برميل يوميا(١٢)، أى ما يعادل ١٢٪ من الإنتاج العالمى للنفط(١٣). وتتربع روسيا على أكبر احتياطى مؤكد من الغاز الطبيعى يعادل ٢٥٪ من الاحتياطى العالمى(١٤). وتعد أوروبا البوابة التى يركز عليها بوتين فى إعادة روسيا إلى مصاف الدول الكبرى، معتمدا فى ذلك على "دبلوماسية الطاقة"، ومستغلا كون قارة أوروبا تحتوى على أكبر عدد من الدول الصناعية فى العالم، مقابل افتقار أراضيها إلى موارد الطاقة التى تلبى احتياجاتها(١٥)، ومعتمدا أيضا على الاتصال البرى المباشر بين قارتى أوروبا وروسيا. فالدول الأوروبية الوحيدة التى حققت الاكتفاء الذاتى من موارد الطاقة هى: بريطانيا والنرويج، والدنمارك، علما بأن احتياطياتها تشهد تدهورا، خاصة بريطانيا منذ سنة ١٩٩٩، والتى تحولت سنة ٢٠٠٥ من دولة منتجة ومصدرة إلى دولة مستوردة، والنرويج التى بدأ انتاجها فى التناقص بـ ٧٪ سنويا منذ سنة ٢٠٠١.

ويعد الاتحاد الأوروبى من أكبر مستهلكى النفط فى العالم، بنسبة ٢٠٪ من الاستهلاك العالمى، الذى يستورد منه نسبة ٨٠٪. وتغطى الصادرات الروسية ٢٥ ٪ من إجمالى استهلاكه، تليها منطقة الشرق الأوسط بنسبة ٢٤٪، ثم النرويج بـ ٢٢ ٪، فإفريقيا بـ ٢١٪(١٦).

4- Celine Bayou, l'Europe et la diplomatie energetique du pouvoir russe , defiance et dependance, revue Internationale et strategique, no68., (avril 2007), p.117.

5- Dominique Finon et Catherine Locatelli, l'interdependance gaziere de la Russie et l'union europeenne: equel quilibre entre le march eet la geopolitique?, Laboratoire d'economie de la production et de l'integration Internationale, no. 41, (decembre2006) p.7.

6- Sylvie Matelly, "la Russie et l'OMC un interet reciproque mais des enjeux contradictoires, revue international et strategique, no68. (avril 2007). p.169.

7- Mark Entin, relation entre la Russie et l'Union Europeenne: hier, aujourd'hui, demain, Geoeconomie ,no43., (avril 2007), p.7.

8- Nicolas Escach et Arnaud Serry, les ports de la mer de Baltique entre mondialisation des echanges et regionalisation, Geo-confluences, 27/5/2013, sur l'adresse:

http://www.geoconfluences.ens-leyon.fr/doc/transv/MobilScient.7htm

9- Matthieu Chillaud, la demarche strategique des etats de baltes dans l'architecture europeenne de securite et de defense: une politique fondee sur une dialectique identitaire et militaire, thsee pour le doctorat en science politique, (Bordeaux: universite Montesquieu, 2007, pp.179-180.

10- Catherine Locatelli, les enjeux politiques des hydrocarbures de la caspienne, Laboratoire d'economie de la production et de l'integration internationale, (mars 2006), p.1.

11- Victor Bernard et autre, Russie quelle strategie de puissance?, Base de connaissance (decembre 2006), p.6.

12- Michel Cruciani, "la crise de Crimee: les defis energitiques pour l'Europe", confrontation Europe en partenariat avec Brussels energy club, (25 avril 2014), p.2.

13- Stephane Dubois, la Russie et ses hydrocarbure: la tactique a court terme aux dpens de la strategie a long terme?, Geoeconomie, no. 48, (janvier 2009), p.70.

14- Daniel Champlon, "la securite de l'approvisionnement gazier europeen: perspectives et defis", CEDE GAZ the international association for natural gaz, (23 26 mai 2016), p.7.

١٥- ألكسندر دوغين، أسس الجيوبوليتيكا الروسية، ترجمة: عماد حاتم، (طرابلس: دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٤)، ص ص٣٢٢-٣٢٣.

16- Susanne Nies, op.cit., pp. 35-40.

وبناء على معدل الزيادة الحالى فى استهلاك الغاز فى أوروبا، والذى يقدر بـ ١,٨٪ سنويا، فإن الكميات المستهلكة سترتفع من ٥٣١ مليار متر مكعب سنة ٢٠٠٠ إلى ٧٩١ مليار متر مكعب سنة ٢٠٢٥(١٧)، وسيرتفع اعتمادها على روسيا من ٢٥٪ إلى ٣٠٪(١٨)، علما بأن التبعية لروسيا فى مجال الطاقة تختلف من دولة أوروبية إلى أخرى. فبلغاريا، وإستونيا، وليتوانيا، ولاتفيا، وفنلندا، ورومانيا، وسلوفاكيا (وبيلاروسيا، وأوكرانيا، ومقدونيا) تابعة تقريبا ١٠٠٪ للغاز الروسى. فى حين تتعدى تبعية دول أخرى نسبة ٥٠٪ كاليونان، والمجر، وجمهورية التشيك، والنمسا، وبولندا. وفى مجال النفط، تعد هذه الأخيرة تابعة بنسبة ٩٥٪ لروسيا، والمجر بنسبة ٩٩٪، وسلوفاكيا بنسبة ٩٦٪. كما تستورد ألمانيا أكثر من ٤٠٪ من الغاز، و٣٤٪ من البترول الذى تستهلكه من روسيا. فى حين تستورد منها إيطاليا نحو ٣٣٪ من استهلاكها من الغاز(١٩).

وعزز من سيطرة روسيا على أسواق الطاقة الأوروبية ما يأتى:

أ- روسيا هى الشريك الأكثر استقرارا، والأقرب جغرافيا إلى أوروبا(٢٠).

ب- عدم استطاعة الدول الأوروبية الوصول إلى منطقة آسيا الوسطى وبحر قزوين الغنية بالموارد دون المرور بروسيا(٢١).

د- وجود شبكة لنقل الطاقة، موروثة عن الاتحاد السوفيتى، تربط روسيا بأوروبا(٢٢).

كل هذا جعل من روسيا عنصرا أساسيا فى معادلة الطاقة الأوروبية، وجعل أوروبا حجر أساس فى دبلوماسية الطاقة الروسية(٢٣)، التى تهدف إلى اعتراف المجموعة الدولية بعودة روسيا كقوة كبرى، وإلى أن تصبح واحدة من بين أقوى خمسة اقتصادات فى العالم(٢٤). فى إطار ذلك، سعت روسيا إلى تأكيد دورها فى أوروبا عبر زيادة صادراتها من الطاقة إلى القارة، ضمن عقود طويلة الأجل تضمن لها استمرار الطلب(٢٥).

ويظهر استخدام روسيا مواردها الطاقوية لتحقيق أهداف سياسية، من خلال تعاملها بأسعار مسيسة مع رابطة الدول المستقلة، وهى أسعار أقل من تلك المعتمدة فى أسواق الطاقة العالمية(٢٦). وتلجأ روسيا إلى رفع هذه الأسعار، أو قطع الإمدادات إلى الدول التى تحاول الخروج عن سيطرتها، مثلما حدث فى أوكرانيا، عقب الثورة البرتقالية التى أرست دعائم نظام موال للغرب(٢٧)، ومع بيلاروسيا عام ٢٠٠٩ كرد على قيام رئيسها ألكسندر لوكاتشينكو بعرقلة الوحدة الجمركية بين بلاده وروسيا وكازاخستان، باشتراطه إلغاء الرسوم الجمركية على النفط(٢٨).

يعتمد بوتين على علاقاته الشخصية بصناع القرار لتوقيع اتفاقات تعمق تبعية أوروبا لموارد الطاقة الروسية. إذ قام - عشية الانتخابات الفيدرالية الألمانية فى ديسمبر ٢٠٠٥ - بزيارة لبرلين، أبرم خلالها مع المستشار الألمانى جيرهارد شرودر اتفاقا يقضى بإنجاز أنبوب غاز "السيل الشمالى" لتجاوز دول

١٧- حسين عبدالله، مستقبل النفط العربى، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠١)، ص١٦٢.

18- Pol-Henry Dasseleer, enjeux politique d'un acteur energetique: Gazprom les acteurs prives au service d'une vision geopolitique, op.cit, pp. 16-17.

19- Guillaume Mascotto, La diplomatie energetique de la Russie envers la Chine: manipulation strategique ou vulnerabilite neglige, memoire de la maitrise en science politique (Montreal: universite de Quebec, 2010). p.57.

20- Yann Richard, "les strategie de Gazprom: un probleme geopolitique?", revue geographique de l'est , vol50. (janvier- fevrier 2010) , p.2.

21- Pierre Noel , les hydrocarbures de mer Caspienne acteurs et enjeux, institut d'economie et de litique de l'energie, (mars 1998), pp. 9-12.

22- Catherine Locatelli, les enjeux politique des hydrocarbures de la caspienne et la Russie, laboratoire d'economie de la production et de l'integration internationale, (mars 2006), p.1.

23- Christophe Deffeuilley, le gaz en Europe: entre liberalisation des marches et gopolitique, FLUX, no75., (janvier- mars 2009), p.8.

24- Isabelle Facon, le projet de puissance de la Russie: entre confiance, lucidite et defensive, revue geo-economie, no50. (mars 2009), pp.63-64.

25- Ariel Cohen, Europe's strategic dependence on Russian energy, the Heritage foundation, no2083., (05 November 2007), pp. 3-4.

26- Elizabeth Buchanan, pipeline politics: Russian gas deplomacy under Putine, p.3-5, on:

http://www.aspa.2010com.au/full-papers/pdf/APSA2010_.0190pdf

27- Viatcheslave Avioutskii, "la guerre du gaz: gestion d'une rivalit commercial Russe- Ukrainienne, revue outre terre, no. 19 (fvrier 2007), pp. 7-10.

٢٨- وسام متى، روسيا وبيلاروسيا: نزاع اقتصادى .. أم ود سياسى مفقود، مجلة السفير، ٢٠٠٩.

http://www.assafir.com/weeklyArticle.aspx?Editional=1578.

البلطيق فى إيصال الغاز الروسى إلى وسط وغرب أوروبا(٢٩).

من جانبها، سعت أوروبا للتخفيف من تبعيتها لروسيا عبر:

١- العمل على تنويع مسارات نقل الطاقة إلى أوروبا: بإنشاء خطوط جديدة تربطها بآسيا الوسطى، وبحر قزوين وإفريقيا، مثل: خط باكو- تبليسى- جيهان(٣٠). وترد روسيا على ذلك بإثارة الوضعية القانونية لقزوين، وما إذا كان بحيرة أم بحرا، مستفيدة من عدم وجود أى وثيقة أو قانون يحدد وضعيته، وبالتالى حقوق الدول المطلة عليه(٣١).

٢- التوجه نحو تنويع مصادر الطاقة المستهلكة: سعى الاتحاد الأوروبى إلى استهلاك الغاز الطبيعى المسال للتخفيف من تبعية الدول الأوروبية للغاز المستورد عبر الأنابيب من روسيا(٣٢). كما توجهت بعض الدول الأوروبية إلى استغلال الغاز الصخرى، إلا أن ذلك قوبل بمعارضة أنصار البيئة(٣٣).

كما يتجه الاتحاد الأوروبى نحو الاعتماد على موارد الطاقة المتجددة بحسبانها تتلاءم مع التطلعات البيئية المترتبة على "بروتوكول كيوتو"(٣٤).

وعند الحديث عن أمن الطاقة، فإن الأمر لا يتعلق فقط بأوروبا، لأن روسيا أيضا تابعة لصادراتها من موارد الطاقة إلى الأسواق الأوروبية. وبالتالى، فسعى الدول الأوروبية إلى تنويع الجهات التى تستورد منها موارد الطاقة سيؤثر لا محالة فى أمن الطاقة الروسى.

تسعى روسيا إلى تنويع الجهات التى تصدر إليها للتخفيف من تبعيتها للأسواق الأوروبية، من خلال تطوير علاقاتها بالصين، وكوريا الجنوبية، واليابان. ويظهر ذلك فى تصريح للناطق الرسمى باسم شركة غازبروم، سيرجى كوبريانوف، حيث قال: ".. نريد فقط أن تعرف الدول الأوروبية أننا نمتلك بديلا لتصدير الغاز .. لدينا السوق الصينية التى تنمو بسرعة .. وإذا كان الاتحاد الأوروبى يريد غازنا، فعليه أن يراعى مصالحنا .."(٣٥). وتعمل روسيا على تطوير حقولها فى سيبيريا الشرقية، وفى الجرف القارى فى المنطقة القطبية الشمالية، لكى تكون أقرب إلى شركائها التجاريين فى آسيا(٣٦).

ثالثا- استراتيجية روسيا لتأمين مصالحها الطاقوية فى أوروبا:

تقوم الاستراتيجية الروسية فى الحفاظ على مصالحها الطاقوية فى أوروبا على عنصرين أساسيين، هما:

١- مواجهة توسع الاتحاد الأوروبى:

أوجد قرار توسيع الاتحاد الأوروبى حدودا مباشرة بين روسيا والاتحاد، يبلغ طولها ٢٢٥٧ كيلومترا، والذى رأت روسيا أنه يندرج ضمن استراتيجية تهدف إلى تطويقها، نظرا لما يحمله من تضييق على نفوذها فى المنطقة(٣٧). إلا أنها فى الوقت ذاته، لم تعارض انضمام دول من أوروبا الشرقية والوسطى إلى الاتحاد، وقت طرح هذه المبادرة. ورأت أن أمن هذه الدول يكمن فى الاستقرار والتطور الذى يمنحه لها اندماجها فى الاتحاد الأوروبى(٣٨).

ورغم ما حمله بوتين من توجه جديد فى السياسة الخارجية عند وصوله للسلطة للمرة الأولى، فإنه لم يعارض توسع الاتحاد الأوروبى، حيث رأى أن هذا التوسع يمكن أن يخدم دبلوماسية الطاقة، وذلك بانضمام جمهوريتى التشيك، وسلوفينيا، ودول البلطيق التابعة ١٠٠٪ لوارداتها من الغاز الروسى(٣٩).

29- Michael Thumann, diversification des sources: la meilleure strategie pour les relations energetique UE-Russie, Institut francais des relations internationales, no. 10, (mai 2006), p.5.

30- S. Frederick Starr & Snante E.Conell, The Baku Tbilisi - Ceyhan pipeline: oil window to the west, (Washington: central Asia Caucasus institute and silk road studies program, 2005), p.61.

31- Mohamed Semiem, la politique Russe en Transcaucasie: post- sovietique, thse de magistere en science politique et relations internationales (Alger: faculte des sciences politique et de l'information, 2005) pp. 76-78.

32- Susanne Nies, gaz et ptrole vers l'Europe: perspectives pour les infrastructures, (Paris: IFRI, 2008), pp. 64-65.

33- Fabian Flues, Antoine Simon, l'exploitation de gaz de schiste en Europe: une voie lente et couteuse qui ne menera nulle part, Freinds of the Earth Europe ,(mai 2013), p.1.

34- Commission des communautes europeennes, Livre vert sur l'efficacite energetique ou comment consommer mieux avec moins, (Bruxelles: s.e, 2005), pp. 25-26.

35- Guillaume Mascotto, op.cit, pp. 53-67.

٣٦- يفجينى بريماكوف، العالم بدون روسيا: قصر النظر السياسى وعواقبه، ترجمة: عبدالله حسن (دمشق: دار الفكر، ٢٠١٠)، ص١٦٦.

37- Celine Bayou, les nouveaux etats membre: facilitateurs ou entraves a la relation UE-Russie?, revue geo-economie, no. 43, (avril 2007), pp. 2-8.

38- Isabelle Facon, la politique europeenne de la Russie: ambitions anciennes, nouveaux enjeux, Questions europeennes, no. 15, (22 juillet 2005), pp. 2-3.

39- Catherine Locatelli, les evolutions de la strategie d'exportation gaziere de la Russie: l'Europe contre l'Asie?, laboratoire d'economie de production et de l'integration international, no. 38, (septembre 2004), p.1.

تغير هذا الموقف الروسى بعد سنة ٢٠٠٤. فالدول التى لم تنضم بعد هى: بلغاريا ورومانيا (اللتان انضمتا سنة ٢٠٠٧)، وأوكرانيا، ومولدافيا، وجورجيا، وتركيا، وبيلاروسيا، التى عبر صناع القرار فيها مرارا عن رغبة دولهم فى مثل هذا الاندماج، لذا حاولت روسيا أن تحول دون هذا الانضمام.

– أوكرانيا: يمر ٨٠٪ من الغاز الروسى المصدر إلى أوروبا عبر أراضيها، وبالتالى يبقى أمن الطاقة الأوروبى رهن علاقات روسيا بأوكرانيا، خاصة أن هذه الأخيرة تعتمد بطريقة شبه كاملة على وارداتها من الغاز الروسى(٤٠). وبالتالى، فإن أى محاولة للتقارب بين الاتحاد الأوروبى وأوكرانيا تواجهها روسيا بقطع إمدادات الطاقة إلى هذه الأخيرة، مثلما حدث بعد الثورة البرتقالية(٤١).

– جورجيا: سيفتح انضمامها إلى الاتحاد الأوروبى حدود هذا الأخير مباشرة على بحر قزوين ومنطقة آسيا الوسطى الغنية بموارد الطاقة، وبالتالى ينهى تبعيته الطاقوية لروسيا. لذا، تعمل هذه الأخيرة على عدم حدوث ذلك من خلال استخدام سياسة "فرق تسد" بإثارة النعرات الانفصالية، ومشاكل الأقليات فى جورجيا، خاصة فى "أوسيتيا الجنوبية"، و"أبخازيا"، وقد اعترفت باستقلالهما بطريقة فردية فى ٢٦ أغسطس ٢٠٠٨(٤٢). وفى إطار تحريضها أيضا على الانفصال فى هاتين المنطقتين، تمنح جواز السفر والجنسية الروسية للمواطنين الجورجيين ذوى الأصول الروسية، أو الذين ترجع أصولهم إلى إحدى الجمهوريات المستقلة عن الاتحاد السوفيتى دون أى شروط(٤٣). وبما أن أحد شروط الانضمام إلى الاتحاد الأوروبى هو مراعاة حقوق الأقليات، فإن روسيا وضعت لسياستها هذه إحدى العقبات أمام انضمام جورجيا.

– مولدافيا: تقع فى المجال الحيوى لروسيا، وترغب فى الانضمام إلى الاتحاد الأوروبى، وتحتوى على حركات متمردة فى منطقتين، هما: "جاجاوزس Gagaouzes" وهى أقلية من العرق التركى، وتمثل ٤٪ من إجمالى السكان المولدافيين. وقد أعلنت استقلالها سنة ١٩٩٠، وأصبحت تحظى بالحكم الذاتى منذ سنة ١٩٩٤. أما المنطقة الثانية، فهى "ترانسنستريا التى أعلنت أيضا استقلالها عام ١٩٩٠، "Transnistrie وتمثل العرقية الروسية ٢٥,٥٪ من تركيبتها السكانية(٤٤)، بينما ٣٩,٩٪ من المولدافيين، و٢٨,٣٪ من الأوكرانيين، و٦,٤٪ من عرقيات أخرى، ولا تغطى "ترانسنستريا" سوى ١٣٪ من مساحة مولدافيا الكلية، و١٧٪ من إجمالى سكانها، إلا أنها مصدر لأكثر من ٣٣٪ من الناتج الوطنى الخام، كما أنها تلعب دورا محوريا فى تزويد باقى أجزاء الدولة بالطاقة، فهى مصدر لنحو ٨٧,٥٪ من الطاقة الكهربائية المستهلكة فى مولدافيا بصفة عامة، الأمر الذى جعل هذه الأخيرة تتقاعس فى الاستجابة للمطالب الانفصالية فى هذه المنطقة(٤٥).

وتعد هذه المنطقة ممرا لـ ٢٠ مليار متر مكعب سنويا من الغاز الروسى إلى باقى أوروبا(٤٦). لذا، تعمل روسيا على تشجيع الحركات الانفصالية هناك لإعاقة انضمام مولدافيا إلى الاتحاد الأوروبى، وإبقائها فى فلك موسكو(٤٧).

– تركيا: لا تقع فى المجال الحيوى لروسيا، وليست منطقة نفوذ لها، ولا تحتوى على أقليات روسية يمكن استغلالها، كما أنها عضو فى حلف شمال الأطلسى منذ سنة ١٩٥٢، وتطالب بالعضوية فى الاتحاد الأوروبى. لذا، تعمل روسيا على تعديل موقف تركيا، وعدم تركه يرجح الكفة لمصلحة الاتحاد الأوروبى فى حال انضمامها إليه، معتمدة فى ذلك على السعى إلى زيادة اعتماد تركيا على وارداتها من مصادر الطاقة الروسية، من خلال ربطها مباشرة بروسيا عبر خط أنابيب "السيل الأزرق الذى بدأ بضخ ثمانية مليارات متر مكعب "،Blue Stream من الغاز سنويا من روسيا إلى تركيا سنة ٢٠٠٣ من ناحية، والتعامل معها بأسعار خاصة من ناحية أخرى(٤٨).

٤٠– جفرى مانكوف، أمن الطاقة الأوراسية، (أبو ظبى: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠١٠) ص٢٢.

٤١– فيتالى ناومكن، العلاقات الروسية مع أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية: انعكاسات على الأمن العالمى، (أبو ظبى: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠٠٦)، ص ص١٤–١٥.

42- Michel Guenec, la Russie et les secessionnismes georgiens, revue Herodote, no. 138, (mars 2010), pp. 46-57.

43- Aurel Baraun, l'OTAN et la Russie, perceptions des menaces apres la Georgie, Institut francais des relations internationales, no40., (mai 2009), p.8.

44- Florian Givord, Regard croise sur le probleme de Transnistrie, memoire master en science politique,(Toulouse: institut d'etudes politiques, 2004), pp. 11-20.

45- Florian Givord, Regard croise sur le probleme de Transnistrie, memoire master en science politique, (Toulouse: institut d'etudes politiques, 2004), pp. 11-20.

46- Eur-Active, la Russie demande a la Moldavie de choisir entre son gaz bon marche et l'integration europeenne, 15/8/2013, sur l'adresse: http://www.euractive-fr/autres/russie-demande-moldavie-choisir-gaz-march-integration-europeenne-.16432html

47- Ibid, p.2.

48- Remi Bourgeot, Russie Turquie: une relation determinee par l'energie, Institut francais des relations internationales, no69., (mars2013), pp. 8-16.

٢- مواجهة توسع حلف الناتو:

بعد بضع سنوات فقط من نهاية الصراع الأيديولوجى بين الشرق والغرب، بدأ حلف شمال الأطلسى تحركه شرقا ليضم دول "حلف وارسو" سابقا(٤٩). ومع وصول بوتين إلى السلطة فى روسيا، رأى أنه يجب التكيف مع هذا التوسع، بدلا من اتباع النهج الذى سار عليه يلتسين سابقا(٥٠)، حيث اتبع سياسة أكثر حذرا وبراجماتية تجاهه.

ففى دول البلطيق، نصبت روسيا صواريخ قصيرة المدى فى مقاطعة "كالينينجراد" المحاطة بدول الناتو(٥١). وللحفاظ على نفوذها فى هذه الدول، عولت روسيا أيضا على آليات ثقافية، كاللغة الروسية، والسيطرة على وسائل الإعلام، كأدوات موجهة من طرف الكرملين الروسى لخدمة مصالحه. ويظهر ذلك فى إثارة هذه القنوات أعمال شغب بين الأقلية الروسية فى استونيا عام ٢٠٠٧، جراء نشرها خبرا بكون السلطات قد خربت النصب التذكارى السوفيتى، الذى تمت إزاحته من العاصمة. أما أهم أسلوب تستخدمه روسيا فى رعاية مصالحها فى دول البلطيق، فهو أسلوب المنح الآلى للجنسية الروسية. لكل مواطن من أصول روسية، أيا كانت الدولة التى يقيم فيها. وفى الوقت نفسه، تتبنى روسيا مبدأ أساسيا فى سياستها الخارجية منذ سنة ٢٠٠٠، قائما على التدخل لحماية المواطنين الروس(٥٢).

فى أوكرانيا، كانت تراهن روسيا على أسطولها الذى يرابط فى شبه جزيرة القرم" الأوكرانية بميناء "سيباستبول" للحفاظ على نفوذها فيها، ومنعها من الانضمام إلى حلف شمال الأطلسى. فقد قررت أوكرانيا ألا تعيد إيجار ميناء "سيباستبول" لروسيا بعد سنة ٢٠١٤، إلا أن هذه الأخيرة استطاعت باستخدام ورقة الطاقة الحصول على تمديد إلى غاية سنة ٢٠٤٢(٥٣)، الأمر الذى يعنى ضمان عدم انضمام أوكرانيا إلى حلف شمال الأطلسى على الأقل إلى غاية سنة ٢٠٤٢، لأنه من بين شروط الانضمام إلى هذا الأخير هو عدم وجود قواعد عسكرية أجنبية على أرض الدولة التى ترغب فى الانضمام، وبالتالى ضمان نفوذ روسيا فى البحر الأسود، لأن فقدان أسطولها فى "القرم" سيحرمها من أن تكون قوة متوسطية، ومن جزء كبير من قوتها(٥٤).

وفى مولدافيا، يعود وجود القوات الروسية هناك إلى سنة ١٩٩٢، عندما بدأ النزاع بين مولدافيا وإقليم "ترانسنستريا"، الذى تدخل فيه الجيش الروسى لمصلحة هذا الأخير. وقد وقعت روسيا ومولدافيا سنة ١٩٩٤ اتفاقا يقضى بسحب القوات الروسية من "ترانسنستريا" بعد ثلاث سنوات. إلا أن هذا الاتفاق لم يطبق، نظرا لعدم تصديق مجلس الدوما الروسى عليه، ولا تزال القوات الروسية إلى اليوم فى مولدافيا(٥٥) كعقبة فى طريق انضمام هذه الأخيرة إلى حلف شمال الأطلسى.

أما بالنسبة إلى جورجيا، فقد طلبت عضوية الحلف خلال مؤتمر براغ عام ٢٠٠٢(٥٦). وقد كانت جورجيا وأوكرانيا من أكثر الدول المرشحة للعضوية فى الناتو، ويرجع ذلك أساسا إلى اهتمام الحلف بالدول المطلة على البحر الأسود(٥٧).

عملت روسيا على منع جورجيا من الانضمام، مراهنة على قواتها العسكرية الموجودة فى جورجيا منذ سنة ١٩٩٥، تاريخ الاتفاق بين الطرفين على إنشاء هذه القواعد. ورغم طلب جورجيا من روسيا سحب قواتها من أراضيها سنة ٢٠٠٠، فإن هذه الأخيرة لم تسحبها كلها، حيث وافقت سنة ١٩٩٩ على إغلاق قاعدتين فقط بحلول الأول من يوليو ٢٠٠١، وتأجيل غلق القاعدتين الأخريين إلى غاية سنة ٢٠٠٨(٥٨) لتأخير انضمامها إلى حلف شمال الأطلسى. فصناع القرار الروس يركزون دائما على ضرورة الوجود العسكرى فى جورجيا، لأن حلف شمال الأطلسى ينتظر فقط الوقت الذى تقدم فيه روسيا على سحب قواتها منها ليجعلها قاعدة له(٥٩). ورغم تعدد الأسباب التى دفعت روسيا إلى التدخل فى جورجيا عام ٢٠٠٨، كإعلان حلف

49- Serguei Rogov, l'OTAN et la Russie: vue de Moscou, politique etrangere, (avril 2009), p.837

50- Matthieu Chillaud, op.cit, pp. 213-214.

51- Serguei Rogov, op.cit, p.840.

52- Grigas Angia, "legacies coercion and soft power: Russia influence in the Baltic states", Russia and Eurasia program (august 2012 (, pp. 9-11.

53- Santiago Fisher, "la strategie Russe dans l'espace postsovietique: entre influence soft et hard power, le cas de l'Ukraine", commission justice et paix Belgique francophone (mai 2012). p.3.

54- Matthieu Chillaud, op.cit., p.163.

55- Pierre Jolicoeur, l'UE et l'OTAN face a l'implication de la Russie dans les conflits geles: deux voies divergentes, etudes internationales, vol40., no4.,(2009), p.549.

56- Ekaterina Piskunova, interet geopolitiques de la Russie et guerre civile en Georgie, centre d'etudes des politiques etrangeres et de securite, no31., (septembre 2006), pp. 45-46.

57- Pierre Jolicoeur, op.cit, p.559.

58- Ekaterina Piskunova, op.cit, pp. 35-38.

59- Ekaterina Piskunova, op.cit, pp. 35-38.

الناتو عزمه إقامة درع صاروخية متقدمة فى جمهوريتى التشيك وبولندا سنة ٢٠٠٧، وبداية خروج دول "رابطة الدول المستقلة"، الواحدة تلو الأخرى، عن سيطرتها(٦٠)، فإن السبب الأكبر هو رغبة روسيا فى الحفاظ على نفوذها فى جورجيا لاعتبارات طاقوية، وتمديد بقاء القوات العسكرية الروسية هناك. وقد حمل ذلك رسالة مزدوجة إلى باقى الجمهوريات المستقلة عن الاتحاد السوفيتى، لكيلا تحاول الخروج عن سيطرتها(٦١)، أو التقارب مع الغرب بأى شكل من الأشكال، وإلى حلف الناتو بكون روسيا لم تعد ضعيفة، كما كانت فى التسعينيات، وبأنها قادرة على الدفاع عن مصالحها(٦٢).

أما بيلاروسيا، فتنبع أهميتها من كونها أكثر دول الاتحاد السوفيتى سابقا تقاربا مع روسيا، حتى إنه تم طرح فكرة اندماج الدولتين فى عهد الرئيس الروسى بوريس يلتسين(٦٣)، الأمر الذى جعل حلف الناتو يهتم بضمها إليه. ورغم كون بيلاروسيا لم تبد أبدا رغبتها فى مثل هذا الانضمام، فإن روسيا لا تستطيع المراهنة على استمرار التوجه نفسه، خاصة أن ذلك مرتبط إلى حد بعيد باستمرار الرئيس البيلاروسى ألكسندر لوكاشينكو فى منصبه بحسبانه يتبنى توجها أكثر تقاربا مع روسيا، لذلك، تعمل موسكو، فى سبيل منع انضمام بيلاروسيا إلى حلف الناتو، على تعزيز وجودها العسكرى فيها ضمن اتفاقات طويلة الأجل، كالاتفاق على تنصيب روسيا رادارا للإنذار المبكر فى بيلاروسيا عام ١٩٩٥، يستمر استخدامه لمدة ٢٥ سنة(٦٤).

خاتمة:

يمكن القول إن العلاقات مع أوروبا تحظى بأهمية بالغة فى حسابات المصلحة الروسية، إذ توفر لموسكو عدة مميزات جيوبوليتيكية، كالوصول إلى المسطحات المائية، وأخرى اقتصادية بعدّها سوقا وممرا لصادرات الطاقة الروسية، ومصدرا لوارداتها.

هذه الأهمية، التى تحظى بها قارة أوروبا فى حسابات المصلحة الروسية، جعلت بوتين يهتم بها كبوابة لإعادة روسيا إلى مصاف الدول الكبرى، من خلال استخدام دبلوماسية الطاقة، مستفيدا من تزايد الطلب على هذه الموارد فى أوروبا، مقابل افتقار أراضيها إليها.

ونظرا إلى أهمية متغير الطاقة من ناحية، وأوروبا من ناحية أخرى فى استعادة روسيا مكانتها الدولية، فإن هذه الأخيرة تعمل على التصدى لكل التهديدات التى يمكن أن تضر بمصالحها الطاقوية فى أوروبا، خاصة تلك المتعلقة بالتوسع المزدوج للاتحاد الأوروبى، وحلف شمال الأطلسى.

■ ■ ■

60- Pierre Jolicoeur, l'intervention Russe en Georgie et le jeu d'equilibre des puissancees, centre d'etudes des politiques etrangere et de securite, vol09., no07., (8 septembre 2008), p.1.

61- Michel Guenec, op.cit, p.49.

62- Sylvie Guelluy, l'Union Europeenne, la Russie et leur voisinage partage, IRIS, sur l'adresse:

http://www.paris-europe.eu/confUERussie.10409pdf

63- Philippe Perchoc, l'identite controversee de la Bielorussie: enjeu centrale de la transition democratique et economique depuis l'independance, les etudes de nouvelle Europe,(mai 2007), pp. 11-14.

64- Isabelle Facon, la prseence militaire Russe a l'etranger: aujourd'hui, demain, Fondation pour la recherche strategique, no.206, (decembre 2010), p.04